تاريخ داريا

للقاضي عبد الجبار الخولاني

بتحقيق الأستاذ سعيد الافغاني

كتاب وجيز جم الفوائد يقع في ١٥٢ صفحة من القطع الوسط
من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

للاستاذ عز الدين التنوخي

عهد المجمع العلمي إلى الاستاذ المحقق سعيد الأفغاني بنشر تاريخ داريا للخولاني فاستفرغ في تحقيقه وسعه ، وقدم له مقدمة

الراغبين في القراءة ذوي الدخل القليل ، وهم نادرون ، والكثرة لا تريد أن تقرأ كتباً ولو أهديت إليهم .

٣ — أثمان الكتب عندنا أغلى من البلاد الأخرى ، والكتب الرخيصة الثمن التي تصدر في إنجلترا مثلا ، هي كتب قديمة يعاد طبعها بنفقات قليلة بعد أن شبع أصحابها كسبا .

٤ — انصراف الناس عن قراءة الكتب يرجع بعض أسبابه إلى المؤلفين ، فهؤلاء لا يكتبون في مسائل العصر ولا يصورون واقع الحياة ، وإنما يهربون إلى التاريخ والدراسات ، أو يعتكفون مع تأملاتهم العاجية . فالنتيجة المؤسفة أن الناس ينظرون في الكتب فلا يجدون أنفسهم فيها ، فيرغبون عنها إلى الصحافة التي تربطهم بالواقع وتعرض عليهم صور الحياة

٥ — أرى أننا نسرف كثيرا في الغض من شأن الصحافة من حيث فائدتها في القراءة ، أو نقلل من أهميتها بالنسبة إلى المؤلفات الحديثة . حقا هناك كثير من المجلات المسلية التافهة ، ولكن هذا لا ينبغي أن يجور على غيرها من المجلات ذات المنهج الثقافي ؛ وكثير من الصحف اليومية والأسبوعية تنشر أشياء ذات قيمة ، وقراءة كل ذلك لا شك مفيدة ، وهي تمتاز على الكتب — كما سبق — بأنها متجددة ، تساير الزمن ، وتلائم روح العصر ، وتربط القراء بعجلة الحياة .

عباس خضر

مهمة في تواريخ البلدان . ولهذا التاريخ مزيتان تسترعيان الإعجاب :

الأولى : تفرده بروايات ومعلومات لا توجد في المطولات كتاريخ ابن عساكر الكبير . والثانية : بحث المؤلف عن داريا وأحوال أهلها وأنسابهم . وهو ينص آخر أكثر التراجم على ذراري أصحابها فنعلم مثلا أن صحابيا كأبي راشد الخولاني الذي سماه النبي وكناه بقي ولده يتناسلون بداريا حتى سنة ٣٦٥ وهو عام قراءة تاريخ داريا على المؤلف

وداريا كانت قديما أم قرى الغوطة ، والمعقل الأول لليمنيين ، وهي اليوم ثانية قرى الغوطة ، بعد دوما العاصمة ، وحاضرة القرى الجنوبية منها ؛ ولبثت قرونا كثيرة منار العلم والأدب ، فكان يقال : « من أراد العلم فليرتحل بين عنس وخولان بداريا » .

إن هذا التاريخ الذي يحق لأهل داريا أن يفاخروا به هو أحد تلك الكتب الجمة التي ألفها أسلافنا في تواريخ البلدان كالقاهرة والإسكندرية والصعيد ودمشق وبغداد وقرطبة وغرناطة وتونس والقيروان وغيرها . ومن مفاخر رجال داريا أبو الحسن علي بن داود المقرئ ، وله خبر طريف يتصل بتاريخ دمشق وداريا مما ننقله على سبيل المثال لما في هذا التاريخ الممتع على إيجازه وحواشيه من فوائد . . ذلك أن أبا الحسن هذا كان يؤم أهل داريا فمات إمام جامع دمشق فخرج أهلها إلى داريا ليأتوا بإمامها إماماً لجامعهم الكبير إذ لم يكن في دمشق خير منه ، وكان فيمن خرج معهم القاضي أبو عبد الله بن النعيبي الحسيني وجلة شيوخ البلد . ولما بلغوا داريا مانع أهلوها بالسلاح في رحيل إمامهم إلى دمشق وخلو بلدتهم من فضله ، فقال لهم قاضي دمشق :

— يا أهل داريا ، أما ترضون أن يشيع في البلاد أن أهل دمشق احتاجوا إلى إمام داريا ليصلي بهم ؟ فقالوا :

— رضينا ، وألقوا السلاح !

هذا ، ويدل على مبلغ عناية المحقق الفاضل الأستاذ الأفغاني

الذى أخرج لنا تاريخ داريا بهذا الضبط والإتقان أن الناسخ لهذا التاريخ شبه عامى ، فكثرت أخطاؤه فى أعلام الرجال وأنسابهم تحريفا أو إسقاطاً ، فاقتصر المحقق فى الحواشى غالباً على ما يتعلق بتحقيق النص وضبط أعلامه وشرح لغوياته ، ولم يتعرض لذكر الروايات المختلفة للحديث لأن نهجه الذى رسمه لنفسه أن يخرج للناس أصلا مضبوطاً ، لا شرحا مبسوطا ، ولم يغفل مع ذلك ذكر وفيات الرجال التى تركها المؤلف الذى لم يذكر من ٤٧ ترجمة إلا وفيات سبعة من أصحابها .

إن الأستاذ الأفغانى مثال لرجال العلم المفتونين بدمشق بالعلم والأدب ، والذين وهبهم الله للتحقيق جميل الصبر والدأب ، فقابل الله جميل صنعه للآداب ، بجميل حمده والثواب .

عمر الدسوقى

عضو المجمع العلمى العربى

دمشق

كتاب الخطابة لأرسطوطاليس

ترجمه وقدم له وحقق نصوصه وعلق حواشيه

الأستاذ الدكتور ابراهيم سلامه

للاستاذ أحمد محمد الحوفى

كان أرسطو ومازال بدعاً فى تفكيره ، وينبوعاً ثرا صافياً يستقى منه الباحثون ، يعتزون بآرائه ، ويفصلون فيها القول ، ويشتقون منها الأدلة كأنها من وحى هذا العصر .

وقد فطن العرب فى عصرهم الذهبى إلى نفاسة مؤلفاته ، فترجموا بعضها ، ثم استقل فى العصر الحاضر معالى الأستاذ لطفى السيد باشا بترجمة كتاب الأخلاق

ولكن « كتاب الخطابة » — وهو من أجل كتب أرسطو وأصحها نسبة إليه — ظل بعيداً عن اللسان العربى فى صورته الصحيحة الكاملة إلى أن نهض بترجمته « الأستاذ الدكتور إبراهيم سلامه » ترجمة دقيقة أمينة سلسلة موسومة بطابع الأديب الذواق حين ينقل من لغة يدرك بلاغتها إلى لغة يفقه أسرارها .

ولم يشأ أن يحبس عمله على الترجمة وحدها ، ولو أنه فعل ذلك وحده لكان جديراً بالشكران ، وإنما قدم الكتاب بمقدمة حافلة فى نحو مائة صفحة ، تشع نوراً على أرسطو ، وعلى كتاب الخطابة وهى وحدها بحث قيم ، بل كتاب مستقل خليق بالإعجاب .

عرض المترجم فى المقدمة حياة أرسطو وكتبه ، وأثبت أصالة كتاب الخطابة من حيث إنه صحيح النسبة لأرسطو فليس لاالغيره ممن تقدمه من الخطباء أو ممن تأخر عنه من تلاميذه . ومن حيث إن أفكاره أصيلة فى نفس أرسطو ، فهو كما يقول « أرنست هافى Arnest Havet » : « ذو طريقة و نهج تفرد به أرسطو ، فلم يعرض أحد من سابقيه من خطباء وغير خطباء عرضه ولا نهج نهجه ، ولا تزال جدته باقية على الزمن ولا تزال خصبة منتجة »

وهو لذلك لم يقتصر على الخطابة القضائية كما فعل سابقوه ومعاصروه ، بل شمل بحثه أنواع الخطابة كلها ، وخالفهم فى عرضهم طريقتهم وآراءهم .

وقد تطلب البحث أن يعرض للخطابة قبل أرسطو ، فتكلم عن السفسطائيين ، وعن المدرسة اليونية ، والمدرسة الإيلية وتعارضهما ، ومناقضة السفسطائيين لهما ، ثم عن جدلة سقراط وأفلاطون على السفسطائيين ، ونظرة سقراط إلى الخطابة ونظرة أفلاطون ، ليخلص من ذلك إلى نظرية أرسطو فى الفن الأدبى وتفريقه بين الفلسفة من حيث إنها علم وبين الخطابة من حيث إنها خطة ومنهج يتبعان الخطيب ، ومن حيث إن هدف الخطابة الإقناع وهدف العلم البرهان ... الخ .

ثم سار كتاب الخطابة فى الزمن ، فعين زمن كتابته ، ووضح بعثه فى أوروبا فى القرن السادس عشر ، والترجمات العدة التى تناولته من ١٦٠٨ م إلى ١٩٣٢ وقرر أنه انتقى ترجمتين اعتمد

عليهما : إحداهما ترجمة د. إميل رويل Ch. Emile. Ruelle والثانية ترجمة حديثة ظهرت عام ١٩٣٢ م لـ د مدريك دوفور Medegle Dubovr

وافترض أن يقال : إن الكتاب قد شرح قديماً ، وأضيف إلى الفكر العربي بفضل ابن سينا وابن رشد ، فماذا يدعو الآن إلى ترجمته ؟

ورد على هذا التساؤل بأنه لا يضير الفكر العربي أن تترجم إليه آثار أرسطو عدة تراجم ، هذا على فرض أن ما قام به الفيلسوفان العربيان يعد ترجمة .

والحق أن ما نقله ابن سينا عن أرسطو من كتاب الخطابة مضطرب غامض في كثير من نواحيه وموضوعاته ، لأنه لم يعمد إلى الكتاب يترجمه ، وإنما حاول أن يستفيد منه ؛ فأدمج بعضه ببعض ، وخلط بعضه ببعض ، وأغفل الأمثلة الأدبية التي أودعها أرسطو كتابه ، وكذلك فعل ابن رشد ، وإن كان مختصره أسهل فهما من شرح ابن سينا .

على أن باعثاً آخر يقتضي هذه الترجمة أن كتاب أرسطو لا تزال أفكاره حية خصبة ، ولا تزال صادقة في تطبيقها ، فمن الخير للأدب العربي أن يترجم ترجمة حديثة سهلة التناول قديرة على تخطي العقبات التي كانت تعوق الترجمة القديمة الحرفية مع ما بذل أصحابها من جهد مشكور .

على أن هذا التساؤل — وقد ورد عليه الدكتور المترجم — لا مدعاة له إذا علمنا أن كتاب الخطابة قد ترجم إلى الفرنسية عشر مرات ، فمن العجز والتهاون ألا يترجم إلى العربية هذه الترجمة المستوفية شرائط الجودة .

ثم عقد المترجم بحثاً قيماً في أثر أرسطو في البلاغة ، أشاد فيه بفضل الدكتور طه حسين في تنبيهه على العلاقة بين البيان العربي والبيان اليوناني . ونوه بهذا البحث القيم وبإعجاب المستشرق المرحوم كراوس به ، وقرر أن نفسه بدأت تساوره منذ ذلك الحين ليترجم كتاب الخطابة ، وعقب على رأي الدكتور طه حسين ببسط له وتدليل .

واقتضى ذلك أن يعرض لآراء الجاحظ وأثره في البيان العربي وتعصبه للعرب ، ورجح أن الجاحظ كان على علم بكتاب الخطابة قبل أن يترجمه حنين بن إسحاق أو إسحاق بن حنين .

واقتضى ذلك أيضاً أن يعرض لآراء ابن المعتز وأصالتها وتأثر بعضها بأرسطو وخاصة ملاءمة الأسلوب التي سماها العرب ملاءمة الكلام لمقتضى الحال . والمذهب الكلامي الذي أخذوه من جدل أرسطو ومنطقه .

ثم عرض لتأثر قدامة بن جعفر بأرسطو ، وأحال من أراد التوسع على كتابه الآخر (بلاغة أرسطو بين العرب واليونان).

وقد أحسن صنعاً بأن قدم لكل فصل من فصول الكتاب بكلمة موجزة جمع فيها ما تفرق من فقراته ليدرك القارئ إدراكا جليا ما في الفصل من أفكار ، لأن أرسطو لم يكن يكتب كما يكتب المحاضرون كتابة مرسلة مترابطة ، بل كان يكتب فقرات في الموضوع الواحد ، كل فقرة تحمل فكرة .

وأحسن صنعاً بهذه التعليقات القيمة التي أضافها إلى الترجمة وهي كثيرة قلما خلت منها صفحة ، كما أنه ذيل الكتاب بفهرس مفصل يوضح مقالاته ، ويرشد إلى أجزاء كل موضوع منه .

وبعد :

فإن الدكتور إبراهيم سلامه قد نفح الأدب العربي بهذه الترجمة نفحة عظيمة القدر بالغة الأثر ، وحقق ما كان يصبو إليه الأدباء والباحثون منذ عهد بعيد أن يقرأوا خطابة أرسطو كاملة النقل دقيقة الأداء صائبة الترجمة متسقة الموضوع ، وما من شك في أن هذه الترجمة عمل أدبي عظيم جدير بالإشادة والتقدير .

وإن الأدب العربي ليتطلع في شوق إلى الجزأين الآخرين من كتاب الخطابة ، وإلى (بلاغة أرسطو بين العرب واليونان) ، ويشرئب في لهفة إلى كتاب أرسطو في الشعر ، ويدفعه إلى ذلك ما يتمتع به الدكتور سلامه من بسطة وعمق في الثقافة ، ومقدرة على تذوق البلاغة العالية في الفرنسية والعربية ، واقتدار على التعبير الطيع ، ومكانة ملحوظة مرموقة .

أحمد محمد الحوفي

المدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول